لم يعد هناك رجال!

قصة بقلم سعد رضوان

لم تكن قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها حين مرت بها تلك التجربة الرهيبة . انها لا تحب ان تذكر تلك الليلة كما لا تحب ان تناهـــا في الوقت نفسه .

لقد دخلت معه الى الحجرة خجلة مضطربة حالمة ... وحدق فيها بعينيه فأحست انها لم تعد لها ارادة .. ثم مد يده الى ذفنها فداعبها بسبابته وابهامه وهو يبسم ، وبيده الاخرى جذب طرحتها البيضاء من فوق رأسها وهو يقول : « انت خجلانة . »

وقهقه بشدة جعلتها تحس بأن المطارق تطرق رأسها ، مما انساها الدقات التي ظلت تسمعها طيلة المساء والتي تركتها شبه مغشي عليها وبأذنيها صفير ..

ولم تعد تسمع غير قهقهاته التي اخذت تعلو وتعلو .. ثم .. ثم شعرت بألم شديد فصرخت ..

ونزلت دموعها هادئة مستسلمة غير محدثة صوتاً وقد بدا لها انها في عالم آخر .. وحاولت ان تكبت الدموع متذكرة نصيحتهم لهـــا بأن تكون مطيعة لسيدها والا تبدي امامه غير الاحترام الخجل المنصاع ، وان العواطف لا يصح له ان يراها منها والا فتكون مرتكبة لجريمة لا توبة لهـــا .. ولكن ذلك لم يجد ، فقد رفضت عيناها ان توقفا السيل ...

وبسم سيدها وهو يداعب ذقنها مرة اخرى بشدة زادت من ألمها ثم حمل منديلا بللته دماء وخرج الى حيث كانت امها ..

ورنت في ارجاء المنزل زغردات اماوخالتهاوعمتهاوغيرهن من الاقارب اللاتي كن بالخارج منتظرات متوقعات .

ومرت ليلتان فليلتان .. واخذت تعتادحياتها الجديدة كما أحست انها قد ألفت زوجها . ولكنها كانت إلفة من نوع سلبي ، فهي لم تستطع ان تضحك له يوماً ولا ان تحدثه بغير لفظة « البيك » ومايصحبهامن توقير .. على ان ذلك لم يكن مدعاة لمضايقتها او شكواها . فهي ، بما جبلت عليه من تربية ، تعرف ان للكبار من الرجال احتراماً ، بل كانت تحس بالمضايقة اذا اخل احدهم بالتبجيل الواجب لهؤلاء ، فمثلا هي تذكر مرة صبت فيها عنيف لومها على اخيها الاكبر حين ثار على والدهم في ذلك اليوم المشئوم .

لقد قال الاخ للاب وهو يصرخ : « ما هذا الاستبـــداد .. هل انت اشتريتنا .. لو كنا عبيداً ما كنت تفعل بنا هذا .. حتى العبيد قد ألغوا ! »

فامسكت بذراع اخيها وهي تجذبه قائلة : « عب يا محمد ، هل جننت ! »

وكان الغضب قد تطاير شرره من عيني والدها اللتين بدا انهما قد برزتا الى الخارج . ودون ان يفتح الاب فمه رفع يده واهوى بهـــا على وجه الابن بصفعة داوية ثم رفعها مرة اخرى وأهوى بها على وجهها هي وهو يصرخ فيها : « امشي انت لا تتدخلي . » فتحركت مسرعة مطأطئة الرأس مغادرة الغرفة .. وعند الباب لاحظت اخاها وهو يقف منتصباً رافعـــاً صوته في وجه ابيه .

وحين مر اسبوع على زواجها زارها خلق كثير من الاهل والاصدقاء وقابلتها النساء من الزائرات (فلم تكن طبعاً تقابل الزوار من الرجال وما كان يصح لها ان تفعل) . وخاف كل امرأة كانت الزائرة تترك شيئاً ؛ هدية من الذهب او الفضة او شيئاً من المال تدفعه في يدهـا وهي تقول : خذي هذا يا حبيبتي . انا ما احببت ان اشتري حاجة قد تكون عندك ، فقلت انت تجلبين ما يعجبك . »

فتقول للزائرة وهي تودعها : « يرد لك في الافراح يا عزيزتي . »

وفي المساء تجمع لديها مبلغ كبير احست بالفرح وهي تعـــده ثم تافه وتطوي عليه منديلها ، ثم تودعه صدرها وتطبطب عليه بيدها .. على انها حين حنت رأسها ولمحت البروز الذى احدثته اللفة احست انه من غير اللائق ان تقابل زوجها وسيدها وقد افسدت صدرها بهذا الشكل ، فـــأخرجت المنديل وشرع عقلها يبحث عن مكان يضعه فيه .. وفتحت فمها برهة ثم ساءلت نفسها بصوت خافت ولكنه مسموع : « أين ؟ أين ؟ » وتلفتت حولها باحثة .. وبسمت وهي تدخل المنديل في كيس وسادتها ثم تدق الكيس بيدهـــا مسوية له .

وتنهدت ..

ترى .. اي شيء تشتريه بهذا المبلغ ؟. كردان (عقـــد) ؟ لا ان لديها اثنين .. غوائش ؟. كلا ؟ فذراعاها محملتان بمـــا فيه الكفاية .. إذن ماذا ؟ خلخال .. كلا فالخلخال لم تعد تلبسه الآن غير الفلاحات والفقيرات كما تقول امها .. حقاً يا لي من عبيطة ! مشبك .. مشبك من المـــاس يلمع فوق صدرها فيجتذب بريقه النساء اللاتي ينظرن اليهـــا (النساء فقط لان الرجال لا يرونها طبعاً) .

وادخلت جسدها تحت الغطاء واركزت ظهر رأسها على أعمدة السرير النحاسية — فلم تكن السرر الخشبية قد عرفت بعـــد — ثم حدقت في فضاء السقف وقد اخذت ترى بعين خيالهـــا مشابك الصدر التي سبق ان مرت امامها .. مشبك فاطمة .. لا ان دمه ثقيل .. مشبك مديحة .. لكنه صغير .. مشبك تفيدة هانم .. يا خبر ! واحمر وجهها واغمضت عينيها محاولة ان تبعد صورة المشبك فلم تستطع .. يا لجرأة تفيدة هانم . انها تفعل كل كبيرة واخرى غير مهتمة بأحد .. تصوروا انها تعلق مشبكاً قد رسم عـــلى شكل القلب !! وبسمت لنفسها بسمة إشفاق على تفيدة هانم ..

وسمعت صوت زوجها المقهقه يقول وهو يصفق بيده :

« اول مرة عيني تلمحك تضحكين . »

وهربت الدماء الحمراء تاركة جلد وجهـــا على لحمه ، وهبت واقفة باضطراب ، وهي تتساءل كيف سمحت لنفسها ان تترك زوجها يدخل عليها دون ان تحس به .. وتعثرت في غطاء السرير الذي اشتبك بأقدامها فكادت تقع لولا ان زوجها قد سندها .

وقهقه الزوج ثم قال مهدئاً : « هوه ! هل انا عفريت ؟ يجب ان تبطلي هذا الخجل ! » ثم مد يده الى ذقنها يقرصها كعادته ثم اجلسها ودفع بأصابعه في شعرها الطويل المكشوف وهو يقول بصوت من يـــداعب طفلا : « اسمعي يا عايدة .. يجب ان تفهمي انك امرأتي وان هذا الخجل يضايقني ويجب ان تكلميني وتضحكي لي ولا تخـــافي مني . هيـــا اضحكي .. نعم .. هكذا . »

وبسمت إطاعة للامر . فانحنى عليها وقبلها في جبهتهـــا ، واحست ان يديها تريدان احتضانه ولكنها منعت نفسها من ذلك ، لأنها مؤدبة والنسوة المؤدبات لا يحتضن غير النساء والاطفال . وكادت يداها مع ذلك تخونانها لولا ..

آه من لولا هذه !.. لقد خفض من رأسه وقبل عينيها ثم طرف انفهـــا ثم .. ثم دخل طرف شاربه الطويل الخشن المبروم بالكوزماتيك في عينها اليمنى فانخفضت يداها ثانية وقد نامت عواطفها وانهمرت دموعها . وابتعد

زوجها عنها ونظر في وجهها محدقاً ثم صرخ غاضباً : « ما هذا القرف .. كلما جئت الى جنبك تبكين !. والله لن اكلمك مرة ثانية . إن هذا شيء لا يطاق . »

واستدار مسرعاً وغادر الحجرة صافقاً الباب خلفه بشدة ، تاركاً اياها مصبرة في مجلسها لا تأتي بحركة غير تلك المهمة التي يؤديها لسانها حين يخرج من فمها ليحمل دمعة مملحة وصلت الى شفتها .

وانقضى زمن قبل ان تسمع صوت مؤذن قريب يؤذن العشاء فمحت دموعها في طرف جلبابها ثم ادخلت جسدها اسفل الغطاء واغمضت عينيها لتذهب في غفلة ترى فيها فضاء اسود تجري فيه نجوم حمراء ، ثم اختفت النجوم وسط الفضاء تاركة دائرة سوداء نبتت لها اطراف اخطبوطية هي رؤوس ثعابين .. واخذت الدائرة تتسع والثعابين تكبر .. ثم احست بها تلدغها في خدها الايمن فهبت صارخة.. واصطدمت جبهتها برأس زوجها الذي كان قد عاد اليها ..

وصرخ الزوج وهو يحتضنها : « اعوذ بالله من الشيطان .. لا تخافي يا حبيبتي لا تخافي . »

وادركت خطأها وارادت ان تبكي فخانتها الدموع هذه المرة .

وقالت بصوت منهنه : « متأسفة يا بيك .. انا كنت .. كنت أحلم .. »

– خير .. خير .. ان شاء الله خير ..

ثم حدثها حديثاً مهدئاً عن الرجال الذين زاروه في يومه وعما قالوه له وعن قرب انتهاء إجازته وعودته الى الديوان وما ادراها ما الديوان وما فيه من مشاق العمل ..

وسألها : « ان الهانم لم ترني الهدايا التي قدمت لها ؟ »

فقامت منصاعة للامر تريه هذا او ذاك ، ولكنها لم تلبث ان اندمجت في دورها وقد داخلها شعور من الفرح المصحوب بالغرور وهي تسمع لتعليقاته على كل هدية . ثم قالت بعد ان انهت استعراض الهدايا المصنوعة :

«وايضاً يا بيك تجمع عندي مبلغ كبير . »

– أرني يا هانم أرني .

فمدت يدها الى كيس الوسادة مخرجة المنديل ، ومدت يده الى المبلغ وعده ثم قال :

– انا سأحفظه لك الى ان تفكري بأن تشتري به حاجة ..

فقالت بصوت خائف : « لكن يا بيك .. »

وامسكت فقد احست بالحيرة .. الحيرة بين واجبها في اطاعة سيدها وبين نصيحة امها لها بألا تعطي مالها لزوجها وان المهم هو اول مرة فلو انها فرطت له في المرة الاولى فلسوف يأكل كل شيء ، اما لو صدته بلطف في اول مرة ...

وبانت الحيرة على وجهها ولاحظها البيك فسألها بضيق : « يظهر ان الهانم خائفة على الفلوس مني ؟ »

– لا يا بيك لا سمح الله .. انما ..

– انما ماذا ؟

– لا ، ولا حاجة يا بيك ..

وسكتت مخفضة وجهها المحمر المضطرب فمد يده اليها بالمال وقال :

– اتفضلي .. الهانم طبعاً تحتفظ بفلوسها حيث تحب وانا .. آسف اذا كنت غلطت واحببت حفظها لك .

فتمتمت بصوت خافت لعله لم يسمعه : « لا يا بيك انما .. » ثم دفعت بلفة النقد الى صدرها وقد ارادت البكاء ولكنها كبتت دموعها حتى لا تغضب سيدها .

وانتهت اجازة البيك فذهب الى الديوان تاركاً عايدة لأول مرة وحيدة بمنزلها مع مربيتها العجوز التي شغلها عند سيدتها كنس المنزل وطبخ الطعام وما الى ذلك ..

وتربعت عايدة على وسادة ساكنة هادئة مفكرة في شيء لا تدرك كنهه او لعلها كانت لا تفكر في شيء .. ثم قفز الى ذهنها سؤال بسيط .. أهي سعيدة ؟. طبعاً !! يا لتفاهة السؤال ! كيف لا تكون سعيدة وهي قد أصبحت سيدة بيت واسع وزوجة لبعل ذي مركز مرموق ومال محسوب اغناظت الكثيرات من البنات اللاتي تعرفهن واللاتي لا تعرفهن حين اقترن بها .. ألم تقل لها امها ان نفيسة ستنشق غيظاً ولا تحاول حتى مداراة غيظها؟ ألم تقل امها انها على استعداد لقطع ذراعها لمن يثبت لها ان حكمت لا تداري غيرتها منها بكثرة الضحك والقفز والصراخ !. الم تقل ..

طبعاً هي سعيدة .. واعلن وجهها غضبه منها ومن تفكيرها فأخذت تقنع نفسها بأنها اسعد عروس على وجه الارض .. وان زوجها اعظم الرجال..ألم يقل لها والدها انه قد اختار لها أعظم الرجال وافضلهم واغناهم حين اخبرها بأنها قد خطبت ؟.

ان زوجها كامل لا عيب فيه .. وحتى لو كان به عيب فلا يوجد انسان خال من العيوب . عيوب!! كيف تسمح لنفسها ان تفكر في عيوب زوجها؟ وازداد غضبها من نفسها لتفكيرها هذا . ولكنها مع ذلك لم تستطع ان تكفه .. اذن فليكن ! ماذا في صوت زوجها ؟ انه حنون .. صحيح ان الحنو امر خاص بالنساء ولكن ماذا في زوج يكلم زوجته بحنو ؟.. وماذا تريد منه وهي لم تخطيء معه حتى يرفع عليها صوته فيريها خشونته ؟. أحقاً هي لم تخطيء ؟.. ألم تجادله وتسترد منه نقود النقطة يوم السبوع ؟.. حقاً لقد اخطأ حين رد لها النقود .. ان الرجل يجب ان يأمر فيطاع دون جدل او مناقشة .. يجب ان يمد يده فيأخذ ما يريد . لقد تربت مع ابيها فلم تره يوماً يفعل مثل هذا مع امها .. بل انه كان اذا غضب يوماً على والدتها فلا يحدثها حتى تذهب هي بنفسها ومعها اولادها لتشجيعها ثم تعتذر له فيصرخ فيها قائلاً إنه رجل كامل وانه يحب من زوجته الكمال وعدم الخطأ ، فتكرر الام اعتذارها وينحني الابناء على رأس ابيهم وايديه يقبلونه سائلين الرحمة لامهم قائلين : « لأجل خاطرنا يا بابا . » بينما تقول الام : « الله غفور رحيم يا بيك . » فيجيبها الاب : « ولكنه يحب الكمال .. ولكني سأسامحك على هذه الغلطة لأجل خاطر الاولاد . »

هذه هي الرجولة الحقة !.. لا كما فعل زوجها في تلك الليلة حين خرج من الحجرة غاضباً منها ليكائها ثم عاد بعد قليل ليوقظها من نومها كأن شيئاً لم يحدث ... يا للفرق الشاسع !..

وأحست بالغضب على زوجها وبالالم لحظها العاثر ...

كلا ... ان زوجها كامل وهي مخطئة اشد الخطأ حين تفكر مثل هذا التفكير الاعرج ...

– في اي شيء انت سارحة يا حبيبتي ... ان شاء الله تكون هناك حاجة مفرحة ...

★

كان ذلك صوت زوجها العائد يوقظها من تفكيرها الهدام . وفاجأها الصوت فهبت مضطربة متعثرة كعادتها وخرج صوتها الخائف من وجهها الاصفر : « ولا حاجة يا بيك » .

وقطب البيك جبهته ومد يده الى طربوشه يرفعه ليمسكه بين اصبعين ويحك الجزء الاصلع من رأسه باصبع ثالث... ثم حدق اليها برهة ومد يده

الخالية وامسك بكفها اليمنى وجذبها وهو يضغط على الكف ويمسه باصبعه وقال : « تعالي .» وسار بها الى حجرة النوم وهي تتعثر خلفه وقد بدا له ان اتوناً قد اتقد في كفها فبسم لنفسه .

وألقى بالطربوش على السرير ثم فك ازرار سترته وتركها تساعده في خلعها كما خلع رباط العنق وحل ياقة قميصه ثم جلس على طرف السرير وانحنى يحل رباط حذائه ... وبسرعة انحنت عايدة هي الاخرى تساعده واركزت جسدها على احدى ركبتيها وقد صدم رأسها صلعته فمد اصبعه الى ذقنها يقرصها كعادته ثم امسك بساعدها بيد واوقفها وهو يدعك بيده الاخرى الجزء الاصلع المصدوم في رأسه ثم اجلسها على الاريكة بجواره وهو يقول . «تعالي اقعدي هنا .» وتمتمت بصوت غير مسموع :« انا آسفة يا بيك . »

وفتح البيك فمه قليلاً واغلقه ثانية ...ثم تنهد واستنشق نفساً طويلاً قبل ان يبدأ حديثاً متئداً بطيئاً تخرج فيه الكلمات على فترات :

– اسمعي يا عايدة ... انا ... اولا ... احب حين تكلميني ان تقولي لي يا كمال ... من غير كلمة بيك ... وثانياً احب . اسمعي . لقد لاحظت انك تخجلين مني وتخافين و ... والاحترام الذي تقدمينه لي لا يقوم الا بين الاغراب ثم هناك حكاية ، انك تنزعين عني ثيابي وجزمتي ... كأنك خادمة.. وحين ادخل تقومين فتقفين واقفة...كل هذه الامور...

ووقف وقد تحمس :

– الزواج يا عايدة ... الزواج معناه شركة. شركة بين اثنين يريدان ان يكوّنا اسرة ... ان يعيشا معاً ... ان يتحابا .. ان يتعاونا على مواجهة الحياة .. لا ان يوجدا بينهما حائلاً من الاحترام ! الاحترام الوحيد بين الازواج يجب ان يكون احتراماً مبنياً على الحب والتقدير لا على الخوف والخجل . نحن في عصر جديد يجب فيه ان نتخلص من الافكار القديمة التي توجد حوائل بين الزوج وزوجته .. الزواج ليس امرأة يشتريها احدنا وعليها ان تطيعه طاعة عمياء .. لا لقد زال هذا العهد .. الزوج وزوجته يجب ان يكون بينهما حب وعطف ... علاقة زوجية مبنية على ادراك كل منهما لمشاكل الآخر ... ادراك مبني ...

ونظر اليها للمرة الاولى منذ بدأ محاضرته فأحس انها لم تفهم شيئاً ، فهز رأسه وخرج من الحجرة وقد خبا تحمسه ... كيف يفهمها ما يريد؟ انه يريد زوجة لا خادمة.انه... يا لهذا المجتمع الذي افسد حتى الحب . ولكن يجب عليه افهامها ولسوف يفعل مع الايام ..

وثقل الامر في نفس عايدة وزاد توتر تفكيرها واعصابها . انها تريد ان تفهم ... تفهم السر في ان زوجها ليس ككل الازواج، وفي انه لا يريد منها ان تكون كغيرها من الزوجات ! لقد تزوجت برجل والرجل له حقوق من السيادة والسلطة،فما الذي يضايق زوجها في اطاعتها لهوتنفيذها لواجباتها حياله ... ما هذا الضعف ؟

نعم ان زوجها ضعيف .. قالتها لنفسها في بادىء الامر في استحياء . وهي الان تقولها لنفسها بجرأة عجيبة .. وكيف لا وهذه اقواله وتصرفاته؟ يا لحظها ..

لقد تأكدت من ضعفه بعد ذلك الحادث العجيب حين دخل مطبخها في يوم عطلته يسألها ان كان بامكانه ان يقدم مساعدة لها .. يا المصيبة! رجل يدخل المطبخ ليقدم المساعدة ! ثم ...

أمسكت دادتها شفيقة بحمامة تريد ذبحها وطلبت من سيدتها ان تساعدها فاذا به يقول وهو يضحك ويشير بيده ليوقفها :« لا.. انتظرا حتى اخرج فان جسمي يقشعر من رؤية منظر الدم .. ثم اقترب وملس بيده على الحمامة وقال بشفقة : « مسكينة حرام ! » وخرج .

يخاف من مرأى حمامة تذبح ؟ انها نكبة !

وجلست تفكر وقد انهمرت دموعها ثم فاض لسانها فاخذت تقص على شفيقة كل شيء .

وبكت معها شفيقة وهي تقول لها مهدئة : « تحملي يا ستي ... هذا امر ربنا ... ان رجال الماضي كلهم هكذ يا ستي... الآن لم يعد هناك رجال !»

نعم لم يعد هناك رجال .. لقد صدقت شفيقة ...

★

وانقضت عشرون سنة انجبت عايدة خلالها ابنة نسيت بها ما تحسه من فشل في حياتها الزوجية ...

لا لم تنس ذلك كلية، بل كانت تنتابها فترات تحاول فيهااثارة زوجها دون سبب،لعله يسترد رجولته التي فقدها في نظرها ..

فهي مثلاً تذهب تزور والديها فتبيت دون اذن منه وترقبه وهو يدخل منزل والدها في اقصى الليل مضطرباً فزعاً. ويفرحها ما تحس به من اقتراب الشجار (الشجار الذي سيثبت به الزوج رجولته) ولكن الزوج ما ان يطمئن على وجودها بالمنزل حتى يهدأ ولا يسألها اكثر من ان تخبره في المرة التالية التي تريد فيها ان تبيت لدى امها برغبتها حتى يرتاح باله في غيابها وتحس بالغيظ وبانها تريد ان تخنقه .. ثم تنقضي ازمتها بسلام وتعود الى الانهماك في ابنتها ناسية زوجها ..

وتعود بعد فترة فتلح عليها الرغبة في اثارته فتعمل فكرها وتعمله ثم تتجرأ وتقول لزوجها انها تريد ان تخرج سافرة دون نقاب كما تفعل بعض نسوة هذه الايام . فهل يقبل كمال بيك ان يخرج معها في نزهة وهي بهذه

الحال ؟ ويقبل الزوج ! ولم تكن تظنه يقبل بل لم تكن تتصور انها ستأتي مثل هذا الفعل ! ولكن قبول زوجها يثير في نفسها رغبة قوية من التحدي واذا بها تسير خلف زوجها تنهشها انظار المارة ولكنها لا تحس بما تفعل، فقد كان الغضب يتملكها ..

ويتمهل زوجها حتى تقترب منه فيضع ذراعه في ذراعهـــا ويجملها تسير بجواره كاسراً بذلك التقليد الذي يقضي بان تسير المرأة خلف الرجل لا بجواره . ثم يحدثها عن تحرر المرأة وعن هدى شعراوي اول سافرة في مصر وعن قاسم امين محرر المرأة .

وفي تلك الليلة تحس بقلبها يدق بسرعة اكثر، وبوجهـــا يحمر فتخفيه بغطاء سريرها خجلاً مما فعلته بنفسها، وتبكي وتستغفر الله عما ارتكبته من جرم فيصبح سفورها امراً لا يثير مناقشة لا منها ولا من غيرها..حتى ابوها الذي ثار عليها وعلى زوجها في اول الامر لم يلبث ان هدأ .

وتعدى الامر السفور فاذا بها تقابل الرجـــال من اصدقاء زوجها وتجالسهم وتحدثهم . ثم اذا بها تزور المسرح والسينما (المحرمتين على النساء) وهي في ذراع زوجها ..بل انها علقت على صدرها مشبكاً من الماس رسم على شكل القلب !

وكانت المرة الوحيدة التي ثار كمال عليها هي حـــين ارادت ان تحجز ابنتها سميرة في المنزل فلا تسمح لها بدخول الجامعة .. وثارت سميرة على هذه الرجعية وعاضدها ابوها وانتصر في ذلك على امها ودخلت سميرة الجامعة.

لقد أحست عايدة ليلتها بعواطف متناقضة بعضها السرور لثورة زوجها وعناده،وهو الامر الذي تراه منه لاول مرة ، وبعضها الحزن على المصير القاتم الذي تصوره عقلها لابنتها ...

الحي اللاتيني

قصة الشباب العربي القلق الذي يبحث عن نفسه

تأليف الدكتور

سهيل ادريس

الطبعة الثانية

صدرت حديثاً

دار العلم للملايين

وطرق الباب يوماً ففتحته لترى امامها شاباً في مثل سن سميرة . وسألها الشاب بأدب : « مدموازيل سميرة موجودة ؟ » وأحست بغضب عارم على هذا الذي يسأل عن ابنتها فسألته بلهجة متحدية : « ما شأنك بهـــا ؟ » واضطرب الشاب للهجتها وهو يقول باحترام : « انا .. انا سليمان حامد .. زميل الآنسة سميرة في الكلية . »

وصرخت : « تعال يا كمال بيك (فهي لم تتخلص من لازمة البيك ابداً بل ظلت تقولها تحدياً لرغبته في ان تناديه باسمه المجرد) يا كمال بيك تعال انظر الجامعة وما جلبته لنا الجامعة . »

واتى كمال بيك هارعاً وكذا سميرة .. وادخل سليمان حامد الى حجرة الاستقبال بعد ان اعتذر له عن فعلة زوجته الرجعية التفكير ..

واعتاد سليمان حامد على الحضور الى المنزل والجلوس مع سميرة مذاكراً وتجلس عايدة بجوارهما لا تفعل شيئاً غير ان تلاحظهما رامقة الشـــاب بنظراتها التي تنم عن عدم الرضى عن حضوره .. فـــاذا تصادف والتقت نظراتهما اشاح سليمان عنها مسرعاً وقد داخله الاضطراب .

وتمر الاعوام فاذا بسميرة وسليمان وقد حمل كل منهما شهادة الليسانس في القانون، ثم ينهيان تمرينها ويقترض الاب مبلغاً من المال لتفتح به مكتباً لها فتقول عايدة :.« هذه آخرة الجامعة !. » ولكن احداً لا يهتم بهـــا بل ينتحي سليمان حامد بكمال بيك ويقول له :

« ما رأيك يا عمي لو ان سميرة تشاركني .. تشـــاركني لا في مكتبي فقط ، ولكن ايضاً في بيتي ؟.. »

ويفهم الاب ولكنه يسأله مع ذلك : « وماذا تعني ؟ »

— اعني ان اتزوجها .

— اذا هي وافقت، انا طبعاً ليس عندي مانع .

— انها موافقة من زمان .

— آه .. اللئيمة !!.

وتعارض عايدة هذا الزواج ولكنها تضطر الى الموافقة في النهاية تحت الحاح ابنتها .. وفي فراشها تقول لنفسها ان هذه هي النهاية الطبيعية لضعف الرجال ! لقد اصبحت المرأة تقوم باعمال الرجال وتشاركهم فيها، فماذا بعد ذلك ؟ ماذا بعد ذلك ؟.

وفي ليلة العرس تقوم مشكلة كبرى لم تكن عايدة تتصور ان يخطر في بالها ان تحدث امثالها !. لقد رفض العروسان ان يصحباها معهما الى منزلهما! وشرف ابنتها ؟.. وشرفها هي ؟.. كيف تطمئن عليه ؟..

ويقول سليمان : « يا ماما انا مطمئن لشرف سميرة ومتأكد منه.. وهذه التقاليد انتهت من زمان !. »

انتهت !.. مـــا الذي انتهى ؟.. كيف ؟.. هو مطمئن . وهي كيف تطمئن ؟ والناس كيف تطمئنهم وبماذا تفخر امامهم ان لم يكن بيدها ذلك المنديل ؟.. المنديل المبلل بالدماء .. يا للمصيبة ! يا للنكبة !!.

ويصرخ كمال بيك فيها : « ماذا جرى لك يا عايدة .. لماذا لا تتركيهما يعملان كما يجبان ؟ ان سليمان رجل ويعرف الذي فيه راحته ف.. »

وتقاطعه صارخة ثائرة من كل قلبها : « رجل .. رجل .. وهل في هذا الزمن رجال... »

رحمك الله يا شفيقة لقد قلتها كلمة حكيمة : « لم يعد هناك رجال ! »

القاهرة

سعد رضوان

المحامي